Research in Contemporary Literature
Islamic Azad University in Jiroft
http://cls.iranjournals.ir/

Volume 14, Issue 53
June 2022
pp. 33-53

Research Article

A Review and a Survey of the Rural Novel "Toop" by Gholamhossein Saedi From a Postcolonial Perspective

Masuod Mohammadi Khanqah[1], Sayyed Ebrahim Arman*[2], Sayyed Babak Farzaneh[3]

Abstract

The study of the contemporary Arabic and Persian novels from the view point of the modern critic theories has special importance and strengthening such critical-cultural researches can be the miraculous key to solve political misconceptions between Iranian-Arabic focal points. Furthermore, many Arab regions have been as Iran under colonial domination. The present study shows technical methods of the two Algerian and Iranian writers in regard to the two French and Russian colonial powers. By giving a clear picture of protagonist and antagonist elements, the result of this research is that in Saedi's *'tup'* protagonist as the foreground character plays antagonist role and is not the instigator of the story, even though not regarded as its prominent character. On the other hand, Saedi in developing the plot tries to make ethical charastristics of the characters salient. The common characteristics of the writers includes the consequences of colonialism picture in the rural life, and constituents such as: class conflicts caused by colonial oppression followed by combats and resistance to colonialists.

Keywords: Rural novel, Postcolonial perspective, Saedi, Tup

1. PhD student of Arabic Language and Literature, Sciences and Researches Branch, Islamic Azad University, Tehran, Iran
2*. Associate Professor of Arabic Language and Literature, Karaj Branch, Islamic Azad University, Karaj, Iran
Ebrahim.arman@kiau.ac.ir
3. Professor of Arabic Language and Literature, Sciences and Researches Branch, Islamic Azad University, Tehran, Iran

Receive Date: 18.01.2022 **Accept Date:** 18.06.2022

دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
/http://cls.iranjournals.ir

دوره ١٤، شماره ٥٣
بهار ١٤٠١
صص: ٥٣-٣٣

مقاله پژوهشی

نقد و بررسی رمان روستایی «توپ» از غلامحسین ساعدی با رویکرد ادبیات پسااستعماری

مسعود محمدی خانقاه[1]، سیدابراهیم آرمن[2*]، سید بابک فرزانه[2]

چکیده

ادبیات اقلیمی و روستایی شاخه‌ای از ادبیات در تبیین مشخّصه‌های طبیعی و انسانی یک منطقه خاص، هم در ادبیات عربی و هم در ادبیات فارسی از جایگاه خاصی برخوردار است. «غلامحسین ساعدی» از ایران آثاری دارد که در حوزه ادبیات اقلیمی قابل بررسی است. ادبیات پسااستعماری به‌عنوان یکی از رویکردهای ادبیات تطبیقی، بازخوردهای استعمار را در آثار ادبی بررسی می‌کند. در این پژوهش با تکیه بر مبانی نظری ادبیات پسااستعماری، به تحلیل و نقد رمان روستایی «توپ» از ساعدی پرداخته‌ایم و از جنبه‌های مختلف آن را بررسی کرده‌ایم. از جمله دستاوردهای تحقیق حاضر این است که در رمان مذکور، نویسنده علی‌رغم اینکه تقریبا یک تصویر جامعی از اثرات ناشی از پدیده استعمار و حضور عناصر بیگانه بر نوع زندگی و هویت ملّی یک منطقه خاص، ارائه داده است، ولی از جنبه‌های گوناگونی از قبیل «پیچیدگی در شخصیت‌های داستان و خلق آنتاگونیست، رابطه خواننده با شخصیت اصلی داستان و ابهام در شناخت شخصیت واقعی (مُلامیرهاشم)، ترس و هراس از حوادث، و ..... قابل نقد و بررسی می‌باشد.

واژگان کلیدی: ادبیات روستایی، ادبیات پسااستعماری، غلامحسین ساعدی، توپ

۱. دانشجوی دوره دکتری زبان و ادبیات عربی، واحد علوم و تحقیقات، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران
۲*. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، واحد کرج، دانشگاه آزاد اسلامی، کرج، ایران Ebrahim.arman@kiau.ac.ir
۳. استاد گروه زبان و ادبیات عربی، واحد علوم و تحقیقات، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران

تاریخ دریافت: ۱۴۰۰/۱۰/۲۸ **تاریخ پذیرش:** ۱۴۰۱/۰۳/۲۸

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
http://cls.iranjournals.ir/

السنة الرابعة عشرة ، العدد الثالثة والخمسون
ربيع ١٤٤٣
صص: ٥٣-٣٣

ورقه ابحاث

رواية "المدفعية" الريفية لغلام حسين ساعدي
مقارنة أدبية نقدية في ضوء "ما بعد الاستعمار"

مسعود محمّدي خانقاه[١]، سيد إبراهيم آرمن*[٢]، سيد بابك فرزانة[٣]

المخلص

الأدب الإقليمي والريفي هو فرع من فروع الأدب، له مكانة خاصة في شرح الخصائص الطبيعية والبشرية لمنطقة معينة في كل من الأدبين العربي والفارسي. "غلام حسين ساعدي" كاتب إيراني له مؤلفات يمكن دراستها في مجال الأدب الإقليمي. يتناول أدب ما بعد الاستعمار باعتباره أحد مناهج الأدب المقارن، أحد أهم المؤثرات وتبعات الاستعمار في الأعمال الأدبية. قام هذا البحث بتحليل رواية "المدفعية" الريفية للكاتب ساعدي ودراسة جوانبها المختلفة، معتمداً على أسس أدب ما بعد الاستعمار النظرية. من إنجازات البحث الحالي تناول صورة شبه شاملة لمؤثرات الاستعمار وحضور العناصر الأجنبية على نوع الحياة والهوية الوطنية لمنطقة معينة قدّمها الكاتب في الرواية، ولكن على الرغم من ذلك، إلا أن هناك جوانب مختلفة مثل "التعقيد في شخصيات القصة وخلق العنصر المناهض، وعلاقة القارئ بالشخصية الرئيسة للقصة والغموض في التعرّف على الشخصية الحقيقية (ملا هاشم)، والخوف من الأحداث، وغيرها ما زالت تحتاج لمزيد من الدراسة النقدية.

الكلمة الرئيسية: الأدب الريفي، أدب ما بعد الاستعمار، غلام حسين ساعدي، المدفعية

١. طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم والأبحاث، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران Ebrahim.arman@kiau.ac.ir
٣. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم والأبحاث، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران

تاريخ الوصول: ١٤٤٣/٠٦/١٥ تاريخ القبول: ١٤٤٣/١١/١٨

١. المقدمة

في الواقع، إن الأدب الإقليمي، هو نوع من الأدب الذي يعبّر عن الخصائص الجغرافية والاجتماعية والثقافية والدينية لمنطقة معينة، بحيث تكون هذه الحالات والخصائص هي السمات المميزة لهذه المنطقة بالنسبة للمناطق الأخرى.

غلام حسين ساعدي (١٣٦٤-١٣١٤ ش) هو أحد الكتّاب الروائيين الموهوبين في إيران. كما يعدّ ساعدي أحد الروائيين الذين اختبروا أسلوب الرواية الإقليمية أو المحلية وقد حقق نجاحاً كبيراً في ذلك. تمكّن هذا الكاتب البارز من خلال السفر إلى مناطق مختلفة من البلاد، من ترك أعمال قيّمة في مجال الأدب الإقليمي. على الرغم من أن كل أعماله وإنجازاته ليست في نفس المستوى، شأنه في ذلك شأن غيره من الكتّاب والروائيين، ولكن هذا لا يقلّل من أهمية عمله وقيمته الأدبية كونه أحد الشخصيات المعروفة في الأدب الفارسي المعاصر. بما أن جزءاً كبيراً من أعمال ساعدي مستمدّ من حقائق الظروف الاجتماعية والسياسية للتاريخ الإيراني المعاصر، بناءً على الأسس النظرية لأدب ما بعد الاستعمار، فتناول البحث الحالي رواية "المدفعية" الريفية، إحدى أعمال الساعدي بالبحث والدراسة من جوانب وزوايا مختلفة. كما أن قصة "المدفعية" لم تحض اهتماماً كبيراً لدى الباحثين مقارنة بأعمال وقصص ساعدي الأخرى، لذلك، تطلّب الأمر إلى بحث ودراسة هذه الرواية الريفية دراسة نقدية.

في قصة "المدفعية" لساعدي، هناك سمات وخصائص إيجابية ومفيدة مثل: الاهتمام بعنصر المقاومة والوحدة ضدّ القهر والاستبداد، إدانة الجشع ونهب الثروات، انتقاد الأوضاع الاجتماعية و.. يمكن رؤيتها بوضوح، لكن الدراسة الحالية ركّزت على معظم نقاط الضعف والسلبيات في الرواية مثل: تحوّل الشخصية المهمّة والرئيسة للقصة، ومواجهة الشخصية الرئيسة لمشاكل في النمو والتطوّر، و.. حيث يتمثّل التركيز بشكل أكبر بدراسة نقدية أكثر دقة تتناول عمل الكاتب ساعدي بشكلٍ مختلف ونظرة متميّزة دون أن تمسّ بقيمته ومكانته الأدبية.

١,١. خلفية البحث

فيما يخص الأدب الريفي ونظرية ما بعد الاستعمار وآدابها، بالإضافة إلى الأعمال والقصص التي تركها ساعدي، فقد أنجز العديد من الأبحاث والدراسات، نذكر بعضاً منها:

«حوزه‌های پنج‌گانه اقلیمی‌نویسی در ادبیات معاصر ایران» (المجالات الخمس للكتابة المناخية في الأدب الإيراني المعاصر)، للكاتب رضا صادقي شهير، فصلية الأبحاث العلمية، العدد ٢٧، شتاء ١٣٩١ش، صص: ١٠١-٨١. «مقدمه‌ای بر نقد و نظریه پسااستعماری» (مقدمة للنقد ونظرية ما بعد الاستعمار) بقلم أحمد ساعدي، ١٣٥٨ش، مجلة السياسة الفصلية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة طهران، العدد ٧٣، خريف ١٣٥٨، صص: ١٣٣-١٥٧. في هذه المقالة، يقدّم المؤلف تعريفات لنظرية ما بعد الاستعمار ويقوم بدراسة نظرية ما بعد الاستعمار وسياق الدراسات في أعمال إدوارد سعيد. «بررسی عنصر شخصیت و چگونگی شخصیت‌پردازی در آثار داستانی غلامحسین ساعدی» (دراسة لعنصر الشخصية وكيفية توصيفها

في رواية غلام حسين ساعدي)، لفرزانه محمودي، (١٣٩٠ش)، همدان، جامعة بوعلي سينا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. «بررسی ساختاری مجموعه داستانی "ترس و لرز" غلامحسین ساعدی» (دراسة بنيوية لمجموعة الخوف والرعشة القصصية، غلام حسين ساعدي)، للكاتب أبوالفضل غني زادة، (خريف ١٣٩١ش)، مجلة دراسة الأعمال القصصية، السنة الأولى، العدد الأول. «نقد و تحلیل آثار غلامحسین ساعدی» (نقد وتحليل أعمال غلام حسين ساعدي)، سكينة عباسي، (١٣٨٤ش)، جامعة يزد.

من الواضح أنه لم يُنجز أي بحث مستقل حول رواية "المدفعية" الريفية في مجال الأدب ما بعد الاستعمار. فالدراسة الحالية قامت بنقد هذا العمل على وجه التحديد وهو أحد أعمال الكاتب ساعدي، في ظل دراسة أدب ما بعد الاستعمار.

١،٢. أسئلة البحث

-كيف كان خلق الشخصيات الروائية في رواية "المدفعية"؟

-ما هي مراحل نمو وتطور الشخصية الرئيسة (بطل الرواية) والشخصية المناهضة لها (الخصم) في رواية "المدفعية"؟

-ما هي الجوانب التي يمكن إخضاعها للدراسة النقدية في رواية "المدفعية" للكاتب ساعدي؟

١،٣. فرضيات البحث

- هناك شخصيات ديناميكية وثابتة في رواية "المدفعية". وهذه الشخصيات غالباً ما تكون شخصيات بسيطة ولكنّها تبدو معقدة نوعاً ما.

- في رواية "المدفعية"، يميل الكاتب إلى خلق منافس (خصم) للشخصية الرئيسة ولا يتّخذ خطوات نحو نمو وتطور الشخصية الرئيسة أو بطل الرواية.

- يمكن نقد رواية "المدفعية" الريفية لغلام حسين ساعدي من عدة جوانب مختلفة.

١،٤. أهداف البحث

-إلقاء نظرة على الأدب المناخي والريفي ودراسة بعض عناصره وموضوعاته.

- تحليل مضمون رواية "المدفعية" والتعبير عن أسلوب ساعدي في السرد الروائي.

- شرح بعض محاور وموضوعات رواية "المدفعية" في ضوء الأدب ما بعد الاستعمار.

- دراسة نقدية لرواية "المدفعية" للكاتب ساعدي من جوانب وزوايا مختلفة.

٢. الأدب الإقليمي والريفي في إيران

عشية الثورة الدستورية في إيران، ظهر تيار فكري جديد في البلاد، ذو مفاهيم اقتصادية جديدة أكدت على تمتع الجمهور بحقوق متساوية. أثار مفكّرو الحركة قضايا مثل الإصلاح الزراعي، والعودة إلى القرية، وما إلى ذلك. دخلت هذه المفاهيم مرحلة جديدة بدخولها مجال السرد أو رواية القصص. أدت التطورات

الاجتماعية والثقافية في المجتمع الإيراني في الأربعينيات من القرن الماضي إلى اهتمام الكتّاب للقرويين والقمع الذي يمارس ضدّهم من قبل اللوردات والخوانين، فقاموا بدعم هذه الطبقة بشكل معقّد في اللقصص. كان سرد القصص بمثابة نقطة تحوّل لمثل هذه المفاهيم، وبمرور الوقت، ظهر الأدب الذي تضمن موضوعات جديدة في وصف حياة الناس في مناخات وأماكن أخرى لم تلفت انتباه رواة القصص أبداً. (مير عابديني، ١٣٧٧ش، ٥٠٨:٢)

«كان الأدب القصصي في إيران يتجه دائماً نحو منظور ورؤية رواة القصص الإيرانيين للكتابة الريفية ويعكس حياة القرويين ومعيشتهم. كان غلام حسين ساعدي أحد هؤلاء الكتّاب الذين أولوا اهتماماً خاصاً بالقصص الريفية خلال مسيرته المهنية. لا شك في أن أي قارئ محترف في مجال القصص المناخية أو الريفية، لابد أنه قد قرأ نماذج من أعمال كتّاب مثل "محمود دولت آبادي، جلال آل أحمد وغلام حسين ساعدي" الذي تدور موضوعاتها حول "البيئة القروية". وتعبّر عن الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للقرويين، فضلا عن سرد القمع التاريخي لهذه الفئة الضعيفة.» (شفاعي، ١٣٧٨ش: ٤).

٣. موضوعات الأدب الإقليمي في إيران

١,٣. الطبيعة والمناخ والعناصر الجغرافية

الطبيعة والأماكن والمناخ ومناطق السكان الأصليين والكلمات والتعبيرات المحلية واللهجات المحلية والعادات والمعتقدات والأزياء والأطعمة والشكل المعماري للمنازل والمباني والأمثال و.. هي ميزات يجب ذكرها في تعريف القصة الإقليمية، ويمكن رؤية هذه العناصر في جميع القصص الإقليمية والريفية تقريباً على نطاق واسع. «والعوامل الجغرافية هى التي ترسم أجواء القصص الإقليمية وتضفي عليها طابعاً محلياً، كما أن المواقع الجغرافية المختلفة في الشمال والجنوب هي التي تشكّل الأدبيات المحلية المختلفة في هاتين المنطقتين.» (حبيبي، ١٣٨٤ش: ٧)

٣,٢. الصور الخيالية الإقليمية

إن تأثير البيئة والمناخ في معنويات وأخلاقيات الناس وحتى في ظهور العلوم والفنون وتطورها أصبح مقبولاً ومثبتاً إلى حد ما. تناول ابن خلدون هذه المسألة في القرن الثامن الهجري أكثر من جميع علماء الغرب ومنظريه في القرون الأخيرة. فهو يعتقد أن المناخ والبيئة الإقليمية لا تؤثر فقط على مظهر الأفراد وأخلاق وعادات الناس، بل تؤثر في ظهور وتطوّر العلوم والحضارة والعمارة والفن أيضاً. لذلك علينا أن نقبل أن لغة الفنان وعقله ليسا بعيدين عن تأثير البيئة الطبيعية وتجارب الحياة، وفي هذه الأثناء، فإن العديد من الأساليب الخطابية والأدبية المستخدمة في أعماله ستكون انعكاساً لا واعياً وأحياناً واعياً لبيئته الطبيعية والاجتماعية. (صادقي شهير، ١٣٨٩ش: ٩١)

٣,٣. اللغة والمفردات واللهجات المحلية

في القصص الريفية أو الإقليمية، بالإضافة إلى العناصر البيئية والجغرافية، يعدّ انعكاس اللهجات واللغات المحلية والكلمات والتعابير والمصطلحات اليومية الخاصة لكل منطقة، أمراً مهمّاً وهذا هو سبب التمييز بين اللغات الحضرية والريفية. في مثل هذه القصص، يصف الكاتب قرية أو منطقة معينة بالاسم والخصائص الرئيسة لذلك المكان، وسكان تلك المنطقة هم في الواقع شخصيات نشطة وغير نشطة لتلك القصة، يتحدّثون بكلمات ومصطلحات ولهجات محدّدة و خاصة بتلك المنطقة، ومن هنا، تأخذ القصة لوناً وطابعاً إقليمياً، ما يمكّن من تمييزها عن أدب المناطق الأخرى. إن إلمام القارئ بمجموعة المصطلحات واللهجات المحلية المستخدمة في القصة يساهمه أكثر في موضوع ومحتوى القصة ويساعده على أن يكون قادراً على إقامة علاقة جيدة مع الشخصيات في القصة، وعلى العكس من ذلك، عدم الإلمام بهذه المصطلحات و اللهجة العامية، يمكن أن تسبّب مشاكل في هذا الصدد ولم يكن قادرا على التواصل مع أحداث القصة. فهذا النوع من الأدب ذي الاتجاه الإقليمي أو الريفي في ظل معالجته للخصائص الجغرافية والطبيعية والبشرية، له مكانة عالية في كل من الأدبين العربي والفارسي.

٣,٤. الفولكلور والثقافة الشعبية

من أهم جوانب الثقافة الشعبية الشعر الشفهي والفولكلور. «تتكوّن كلمة الفولكلور من عنصرين؛ فولك ولور أي شعوب وعادات، أي يعني الجزء الأول الشعب، والجماهير، والعامة، والخلق والجزء الثاني هو المعرفة والوعي والأعراف. اعتبر بعض العلماء أن ثقافة القبائل والبدو الرحل في سفوح التلال والقرى البعيدة عن المدينة على أنها فولكلور.» (اندرودي، ١٣٩٧ش: ١٣٣)

يعتقد بعض الكتّاب والعلماء أن الفولكلور يقتصر على المجتمعات القديمة والشعوب الأصلية. بينما يجب أن يقال، إن الفولكلور ينتمي إلى جميع المجتمعات في كل زاوية ولا يعرف حدوداً. يتمتع سكان المدن، شأنهم شأن القرويين بثقافة وفولكلور قديمين ويستفيدون من هذه الثقافة الشعبية، وحتى المدن الصناعية والآلية لها تاريخ قديم وعريق وهم يحملون هذه الميزة في أعماقهم. يمكن اعتبار الشكل الأكثر بدائية للقصة الريفية على أنه التعامل مع ثقافة القرية والفولكلور في المنطقة، حيث إن الالتفات إلى اللغة والكلمات والتعبيرات واللهجات المحلية والعادات والمعتقدات، لها مكانة خاصة في هذا الاتجاه والنوع الأدبي الخاص.

٤. نظرية ما بعد الاستعمار وتطبيقها في الأدب القصصي

١,٤. أدب ما بعد الاستعمار تعريفه وعناصره

«إذا كان مصطلح " كولونيالية" يشير إلى فترة ما قبل الاستقلال، فإن مصطلح "ما بعد الاستعمار" يشير إلى الشمولية الثقافية التي تأثرت بعملية الهيمنة للإمبريالية منذ بداية الاستعمار وحتى الآن. وهو يظهر غالباً في أدبيات الدول الأفريقية والآسيوية والمستعمرة.» (پور قريب، ١٣٩٦: ٩)

يسعى نقد ما بعد الاستعمار إلى فهم الوضع الحالي من خلال إعادة التفكير والتحليل النقدي لتاريخ قديم؛ تاريخ يحتضن التصورات الغربية أحادية الجانب لـ "الغرب" و "الشرق" أكثر من يكون مجرد تاريخ يتناول دولاً كالهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا.

في كتاب بعنوان "المفاهيم الأساسية في دراسات ما بعد الاستعمار"، كتب أشكروفت، مشيراً إلى الاختلافات التي تظهر في تاريخ التعريفين لمصطلح ما بعد الاستعمار:

«تبحث نظرية ما بعد الاستعمار في تأثير الاستعمار على الثقافات والمجتمعات. لمفهوم ما بعد الاستعمار جانب تاريخي، حيث تم استخدامه لأول مرة من قبل المؤرخين بعد الحرب العالمية الثانية في مصطلحات مثل حكومة ما بعد الاستعمار وهي تمثّل فترة ما بعد الاستقلال. ولكن منذ النصف الثاني من السبعينيات، استخدم النقاد الأدبيون هذا المصطلح في سياق التأثيرات الثقافية للاستعمار فاتخذ جانباً ثقافياً. وأصبح ما بعد الاستعمارية يقوم على نطاق واسع بتحليل قضايا مثل الفتوحات الأوروبية، والمؤسسات الاستعمارية الأوروبية، والاستعمار، ومقاومة المستعمَرين، والتبعات المختلفة للهجمات الاستعمارية وشرعيتها الاستعمارية المعاصرة قبل وبعد استقلال المجتمعات؛ بينما أداؤه الأساسي يقوم بشكل أكبر على الإنتاج الثقافي لهذه المجتمعات.» (٢٠٠٦، ١٩٢-١٨٦)

٢،٤. منظري أدب ما بعد الاستعمار

«وفقاً لما قاله هايدن وايت، فإن عدداً كبيراً من المفكرين، من فاليري هايدجر إلى جان بول سارتر ولويس شتراوس وميشيل فوكو، قد عبروا جميعاً عن شكوكهم حول الوعي التاريخي العقلي المتشكك والمتعمد المقصود، وقد وصفوا بدقة إعادة بناء المشاهد التاريخية بأنها وهمية. كما ظهر تحد مماثل لوضع العلوم المعرفية فيما يخص العملية الثقافية للفكر التاريخي من قبل الفلسفة الأنجلو أمريكية. على هذا الأساس، لا يمكن اعتبار الوعي التاريخي تحيّزاً غربياً، والذي أشار في الماضي إلى التفوق الذي لا جدال فيه للمجتمع الصناعي الحديث وفق الأدلة السابقة.» (أشكروفت ٢٠٠٦، ١٦٢)

«يمكن القول إن نقد ما بعد الاستعمار له أصول عديدة في العالم، إلا أنه بشكل عام، تعتبر دراسات ما بعد الاستعمار نتيجة تجارب ودراسات وتفاعلات مفكّري العالم الثالث مع الاستعمار. حتى السبعينيات، لم يكن مصطلح ما بعد الاستعمار معروفاً في المراكز العلمية والأكاديمية في العالم. على العكس من ذلك، فقد وجدت دراسات ما بعد الاستعمار اليوم رسمياً مكانة خاصة في المراكز العلمية الأوروبية الأمريكية وحتى الجامعات التابعة للبلدان التي كانت مستعمرة سابقاً ..... لكن هذا لا يعني أن الأنشطة المناهضة للاستعمار لم تكن موجودة قبل هذا التاريخ.» (تفرشي مطلق، ١٣٩١: ٣).

٥. غلام حسين ساعدي؛ الحياة الشخصية والأعمال والإنجازات

ولد غلام حسين ساعدي يوم الثلاثاء ٢٤ دي ١٣١٤ش (١٥ يناير ١٩٣٥م) في تبريز. والده علي أصغر ساعدي ووالدته طيبة. أكمل تعليمه الابتدائي والثانوي في مسقط رأسه والتحق بمدرسة المنصور الثانوية عام ١٣٢٩ش. بنيت ثانوية المنصور على ما كان في السابق مقبرة. كانت مدرسة ثانوية جيدة وكانت قريبة من منزلهم. نُشرت كتاباته وقصصه الأولى في المجلة الطلابية الأسبوعية عندما كان في المدرسة الثانوية. واصل تعليمه العالي في طهران وأصبح طبيبا نفسيا. منذ أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، بدأ في الكتابة بجدية وترك أعمالاً قيمة. بدأت أنشطته السياسية تزامناً مع حركة تأميم النفط عام ١٣٣٠ش. وبعد ذلك بعام، تولى مسؤولية إصدار صحف "فرياد" و "صعود" و "جوانان آذربيجان" ونشر مقالات وقصصا في هذه الصحف الثلاث وجريدة "الطالب" التي كانت تصدر في طهران. في عام ١٣٤١ش، التحق بالجيش، وبعد ذلك، حتى عام ١٩٦٠ش، عندما سافر إلى باريس، قضى كل وقته في كتابة القصص والمسرحيات والسيناريوهات والدراسات والترجمات والأبحاث. في أواخر عام ١٣٦٠ش تزوج من بدري لنكراني في باريس. خلال الأعوام ١٣٦١-١٣٦٤ش في باريس بدأ بنشر مجلة الفاباد. توفي ساعدي فجر الثاني من آذر عام ١٣٦٤ش الموافق لـ٢٣ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥م، بعد إصابته بنزيف داخلي في مستشفى سان أنطوان في باريس. ودفن بجوار صادق هدايت في القسم ٨٥ بمقبرة برلاش يوم الجمعة الثامن من آذر (٢٨كانون الأول). (عرب، ١٣٨٣ش: ٢)

أجواء قصصه عالقة دائما بين الخوف الدائم من البلاء. والبنية الدرامية لقصصه التي تتكوّن من حوارات وأفعال سكان الريف أو الحضر المرضى، هي سمة خاصة لأسلوبه. كما أن وجود الحيوانات لا يقلّ أهمية عن وجود الإنسان في فضاء قصصه، والعكس صحيح، أي أن الإنسان يجد أحياناً سمات حيوانية.

أهم روايات ساعدي هي:

"مقتل" (المقتل) (١٣٤٤ش)، "توپ" (المدفعية) (١٣٤٨ش)، "تاتار خندان" (التتر المبتسم) (١٣٥٣ش)، "غريبه در شهر" (الغريب في المدينة) (١٣٥٥ش) و ... .

يمكن ذكر أهم مسرحيات ساعدي على النحو التالي:

"كار بافک‌ها در سنگر" (١٣٣٩ش)، "كلاته گل" (١٣٤٠ش)، "ده لال‌بازى ١٠ نمايشنامه پانتوميم" (عشرة تمثيلات صامة، عشر مسرحيات إيمائية) (١٣٤٢ش)، "چوب به دست‌هاى ورزيل" (العصا في أيدي فيرزيل) (١٣٤٤ش)، "بهترين بابای دنيا" (أفضل أب في الدنيا) (١٣٤٤ش)، "پنج نمايشنامه از انقلاب مشروطيت" (خمس مسرحيات للثورة الدستورية) (١٣٤٥ش)، وغيرها.

(سيمياري، ١٣٩١ش، ٣٥)

١,٥. محتوى وموضوع أعمال ساعدي

«كان اهتمام غلام حسين ساعدي بالقضايا النفسية والاجتماعية والسياسية الثلاث بمثابة فصل الخطاب وحكم بيّن لكل الانتقادات والتحليلات حول قصص ومسرحيات هذا الكاتب والتي يمكن تحليلها في ثلاثة أجزاء، وفي نفس الوقت يمكن تبيين علاقة هذه المجالات الثلاثة في إنجازات ساعدي الرئيسة. كما يمكن رؤية الموضوعات السياسية لأعمال ساعدي في مسرحياته أكثر من أعماله الأخرى. إن موضوع المسرحيات، حسب الظروف السياسية في الأربعينيات، يكشف بوضوح عن قضايا مثل الاستبداد، وحرية النظام، وقانون الإصلاح الزراعي، ومواجهة فقر الناس مع تيار الحداثة، وهي تنص صراحة على السخرية والفكاهة.» (حياتي، ١٣٩٤ش: ١١)

في قصصه، يبالغ ساعدي كثيراً في التعبير عن الاضطهاد والقضايا الاجتماعية والحياة المخيفة لأبناء الطبقات الدنيا من المجتمع لدرجة أنه أحياناً يبتعد عن الواقعية ويأخذ موضوع قصصه طابعاً من الوهم. الخطاب الرئيس لقصص ساعدي، هو الخطاب النقدي وموضوع معظم أعماله، هو علاج الأمراض الاجتماعية وجذور الفساد الأخلاقي والاجتماعي. يجمع بين أفضل وأحدث الأساليب الجمالية والاستعارية مع الاتجاهات السياسية والثورية في أعماله الإبداعية، ولهذا السبب يمكن اعتباره أحد الكتّاب الذين أولوا اهتماماً خاصاً بالتعبير عن النقاط والقضايا الأخلاقية بطريقة نقدية.

٢,٥. أسلوب ساعدي في السرد القصصي وفن العمل القصصي في أعماله

ينظر الباحثون في ثلاثة مجالات فيما يخص أسلوب ساعدي في رواية القصص، وهي؛ الأدب الريفي، المدرسة الأذربيجانية وأسلوب الواقعية السحرية. بمقارنة أسلوب كتابة ساعدي مع الروائيين المعاصرين، لا بد من القول إنه من حيث الواقعية يشبه "جلال آل أحمد وبهرام صادقي" وهو بعيد كل البعد عن أسلوب "صادق چوبك وإبراهيم گلستان". لقد استوحى أيضاً من كتّاب مشهورين وروّاد عالميين مثل دوستويفسكي وهمنغوي وماركيز؛ لأنه من ناحية، يعدّ ضمن الكتّاب في فترة الأربعينيات الذين انضمّوا إلى الكتّاب الروس لأسباب سياسية، ومن ناحية أخرى، فهو شخصية بارزة في السرد القصصي الحديث. أحد أهم سمات الجمالية في قصص ساعدي أن الجو العام لقصته يتم التعبير عنه من خلال الشخصيات ولغتها. يعدّ إنشاء فضاء باستخدام كلمات بسيطة وأصلية ومحلية بُعداً آخر لأعماله، خاصة أنه يستخدم مساحات أكثر تخيلاً ومخيفة وغامضة، وهذه القضية جديدة من نوعها في قصص تلك الحقبة. (مهدي‌پور عمراني، ١٣٨١ش: ٥٢-٤٨)

«تظهر رمزية ساعدي في القصص القصيرة، حيث إنه يظهر عمق الكارثة في مغامرات تبدو عادية باستخدام جوانب من الغموض. "للرمزية مكانة خاصة في قصص ساعدي، خاصة في القصص القصيرة والمسرحيات، ويمكن رؤية آثار السرد التقليدي وما بعد الحداثة في رمزيته.» (شيري، ١٣٨٧: ٨٤)

و«بما أن ساعدي أتقن علم التحليل النفسي على مستوى الخبراء، فقد حوّل ردود الفعل النفسية للأشخاص المكسورين والفقراء إلى مغامرات واقعية تتناسب مع عالم القصة.» (قاسم‌زاده، ۱۳۸۳ش: ۲۰۸)

۳,۵. نوع خلق الشخصيات في أعمال ساعدي القصصية

«الطرق الشائعة في خلق الشخصيات هي: تقديم الشخصيات باستخدام الوصف والشرح المباشرين. تقديم الشخصيات من خلال الأفعال، وصف الجوانب الداخلية للشخصيات بدون تفسير. يتطرق أحياناً ساعدي إلى الشخصيات في قصصه، بوصف مظهرها، وأحياناً عن طريق وصف المواقف والظرف المكاني، وأحياناً عن طريق وصف الجوانب الداخلية للشخصيات. لكنه في الغالب يقدّم الشخصيات بأفعالها، حيناً من خلال السلوك وحيناً آخر من خلال الخطاب الذي تستخدمه تلك الشخصيات، وفي بعض قصصه، مثل "آرامش در حضور ديگران" (لهدوء في حضور الآخرين) يميل إلى سرد القصة بصيغة الغائب ويعرض الجوانب الداخلية للشخصيات دون شرح وتفسير.

«هناك شخصيات ديناميكية وثابتة في قصص الكاتب ساعدي. وهذه الشخصيات غالباً ما تكون شخصيات بسيطة لكنها تبدو معقدة. يخلق ساعدي إلى حد ما، شخصيات نموذجية ومعظم شخصياته لها مصير مشابه. وعادة ما تكون واقعية الشخصيات للأسباب التالية: لا يوجد مظهر من مظاهر الكمال في قصصه، يدمج ساعدي آراءه وأفكاره في أفكار ومشاعر الشخصيات في القصة. يتقمّص بشكل جيد تلك الشخصيات. يقدّم وصفاً مفصلاً. يتعلم من الناس من حوله ومن تجاربه الشخصية. يستخدم كلمات وعبارات ملموسة. من بين الأمور التي تعقد معرفة وفهم شخصيات ساعدي في القصة أن شخصياته ثابتة في سلوكها ومزاجها، لكنها تتأثر بشدة بالعوامل الخارجية. على الرغم من أن هذه الشخصيات تتغير وتتطور، إلا أن هذه التغييرات والتحولات لها أسبابها ولا تنشأ بدون سبب ويمكن البحث عن الأسباب. ومعظم شخصيات ساعدي ليس لديها دافع معقول ومقنع لما تفعله.» (محمودي، ۱۳۹ش: ۱)

۶. ملخص رواية "المدفعية" لغلام حسين ساعدي

يرتبط سرد هذه القصة بإحدى قرى منطقة أذربيجان خلال سنوات الثورة الدستورية، حيث إن الحكومة أجبرت الناس على ترك منازلهم واستبدالهم بالبدو من أجل منع القرويين والقبائل من الانضمام إلى مجاهدي تبريز. لتحقيق ذلك، كلّفت أحد الخانات المحليين رحيم خان قوجابيجولو بالقيام إلى هذا الأمر، وعندما رفض رحيم خان القيام بذلك، أرسلت الحكومة بعض قوات القوزاق الروسية بقيادة الجنرال دولماتشيف للوصول إلى هدفها. قوات القوازق تتجه إلى المنطقة بمدفع عملاق وقطيع من الكلاب البرية. والناس والقبائل، يغادرون منازلهم ويلجأون إلى السهول والوديان خوفاً من مواجهة القوزاق، والأهم من ذلك كله، خوفاً من المدافع.

الشخصية الرئيسة ذات الحضور للقصة رجل دين يُدعى "ملا هاشم" الذي ، ، لم يلاحظ سوى وجود القوزاق فور إخلاء الأهالي من القرية. كان على ما يبدو شخصاً مبرراً وهادئاً وساذجاً وكان يحظى باحترام ومكانة خاصة بين سكان قرى تلك المنطقة. في الواقع، لعدة سنوات، من خلال إقامة الطقوس والاحتفالات الدينية، استطاع أن يحصل على عدد كبير من الأغنام في كل قبيلة والتي عهد بها إلى الرعاة. ولكن بمجرد أن أحس بخطر المدافع ووجود القوزاق، قرر اتخاذ إجراء حتى لا يفقد ممتلكاته وأغنامه، وبخوف وقلق كبيرين كان ينوي إبلاغ الناس حتى يغير الأهالي مسارهم في أسرع وقت ممكن، ولا يتورطون في مواجهة مع المدفعية وجنود القوزاق.

تم القبض على ملا مير هاشم بطريق الخطأ من قبل جنود القوزاق وأجبرهم الجنرال دولماتشوف على التعاون وقيادة القوات إلى الأهالي. اعتقد رحيم خان وغيره من الخانات المحليين الذين اتحدوا جميعاً ضد القوزاق، أن ملا هاشم كان ينوي خيانتهم، لذلك أصبحوا معاديين له وسرعان ما سعوا للانتقام منه. من ناحية أخرى، فإن جنرال القوزاق كان يعزو إصابة جيشه بالتعب الشديد والإرهاق حتى أنهم كادوا يخرجون عن مهامّهم الرئيس، إلى "ملا هاشم" وظن أنه ينوي خداعهم وتضليلهم، فغضب عليه بشدة وحتى قرر قتله. أخيراً، في نهاية القصة، بمساعدة المجاهدين في تبريز، بما في ذلك "ملا إمام وردي مشكيني" (رجل الدين المقاتل)، تمكن الخان والأهالي أخيراً من محاصرة وتسليم قوات القوزاق والاستيلاء على المدفع، وقرروا بالتشاور على أخذ الثأر من ملا هاشم، والقضاء عليه فقسّموا الغنم وممتلكاته بين الرعاة، وشدّوا كيساً يحتوي على الرصاص على ظهره ثم ربطوه بمدفع على التل وأطلقوا عليه النار وهكذا أنهوا حياته.

۱٫۶. الشخصيات الرئيسة والفرعية في رواية "المدفعية"

شخصيات هذه الرواية هم أهل القبيلة (قبيلة آلارلو، غوجابيغلو، حاج خوجالو، شاهسون) وأهالي القرية، وكذلك القوزاق. الشخصيات الرئيسة هي ملا هاشم، رحيم خان، رحيم أوغلو، طوبشي، الجنرال، بابا أسيابان، تكدام، حاج إيلدروم، هاوار خان، أوزون، أبو الفضل وكمالان. الشخصيات الفرعية هي إما الخوانين أو أصحاب الودائع أو القوزاق.

يمكن اختيار ملا هاشم كشخصية رئيسة ونشطة في قصة "المدفعية"، ولكن في سياق القصة، نتوصّل تدريجياً إلى أنه لم يكن متقياً ولا يسعى إلى الحرية والعمل الخيري، بل سعى وراء أهدافه في جني المكاسب والأرباح وحماية ممتلكاته؛ وبهذه الطريقة يُستنتج أنه في نهاية القصة يصبح شخصية مناهضة للبطل ويأخذ طابعاً سلبياً، وفي النهاية، بسبب هذه الروح الجشعة والطمع، يُقتل بالرصاص، وهذا التحوّل السلبي، على عكس رواية "الحريق" يجعل الجمهور يفرح بوفاته.

بينما يكشف ساعدي عن الطبيعة الأساسية لملا هاشم وأعماله الخيرية، يذكر في نفس الوقت شخصية إيجابية وعسكرية أخرى في القصة تدعى "ملا إمام وردي مشكيني" المحبوب بين الجميع، ويؤمن بصدقه وإيمانه. يمكن القول إن هذا هو نوع من التفكيكية التي قام بها ساعدي. «إن تدنيس حرمة المقدسات من

قبل ملا هاشم ووجوده مع الجنرال، وأكاذيبه للهروب من الموت، والإثارة والقلق الذي كان يعاني منه قبل التقائه بطاووس گلي ووجود رحيم خان هناك في أي لحظة، كلها تشير إلى أنه كان رجلاً دنيوياً أكل الخبز باسم الدين والروحانية.» (عرفاني، ۱۳۸۹ش: ۵۷).

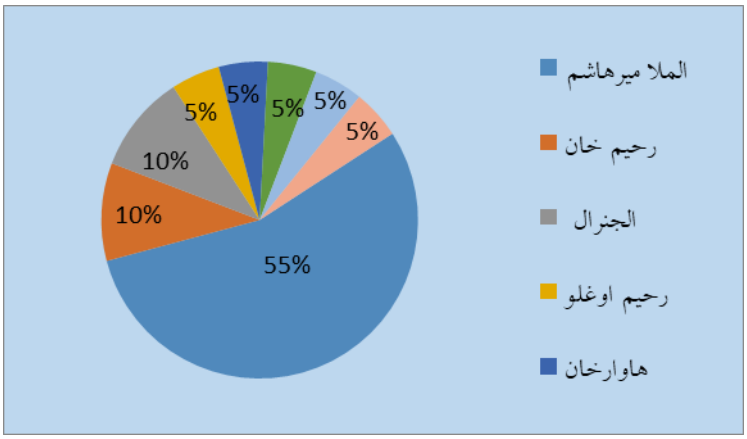

تحليل تواجد الشخصيات في رواية المدفعية "نسبياً"

۲,٦. تحليل مضمون رواية "المدفعية"

"المدفعية" هي رواية تقود الجمهور في نفس الوقت إلى موضوعات عميقة وتخبرنا عن عامل رعب إذا وقفنا ضدّه فسوف نتغلب عليه وإذا خفنا منه، فسوف نقع في فخه لا محالة. في النهاية سيكون الموت هو مصيرنا لا غير. "المدفعية" هي قصة أهالي شاهسون وصراعهم ضد المكوث في مكان واحد، يقدم ساعدي شخصيات مختلفة في القصة ويقوم بسرد أحداثها، ونرى الموقف أحياناً من زاوية أهالي القبيلة، وأحياناً من زاوية القبيلة تاتاس، وأحياناً أخرى من زاوية ملا هاشم.

بالطبع، إذا انتهت السرد بطريقة أخرى، لقلنا، فإن هذه الأنواع من التضخيم وعدم توقع القصص ستكون مرتبطة بنوع العمل وتعطي مزيداً من التماسك للقصة، لكن الكاتب باعتباره طبيباً نفسياً، يرى الحالات من وجهة نظر خيالات غير متجانسة ومتشابكة، متأثراً في ذلك إلى حد ما بمعرفته وخبرته في علم النفس، فهي تتضمن مغامرات غير متوقعة ومكبرة في سرد تاريخي حدث في وقت ومكان معينين وكان منذ البداية مبنياً على الواقعية. يخلق ساعدي مشاهد مبدعة عندما يروي بحسب سياق العمل ونوعه، لكننا لا نرى مثل هذا المشهد الجذاب في كل مكان في الكتاب. مير هاشم نفسه، بنفس طبيعته في القصة، على الرغم من جشعه لجمع الثروة وملء بطنه على هذه الطاولة وتلك، لا ينبغي أن يكون مكروهاً ومنبوذاً لدى الأهالي كما تقول الراوية. من الناحية الاجتماعية، فإن "الوضع العام للبدو الرحل والقرويين" منذ مائة عام يتطلب وجود شخص مثل مير هاشم وهو جزء أساسي في حياتهم. والرواية حقيقية أي مطابقة للحقيقة،

لكنه لا يمكن أن يوازن بين مثالين من الطبقات الاجتماعية لأن مير هاشم حاضر في معظم مشاهد القصة، لكن حضور الإمام وردي ما هو إلا حضور غامض وعابر في مشهد واحد ولا حضور له في سياق الأحداث، ومن هنا لا نرى أي تأثير له في مجرى القصة.

(مهدى پور عمراني، ١٣٨١ش: ٨٠-٧٨)

٣,٦. نماذج لموضوعات رواية "المدفعية" ذات طابع ما بعد الاستعمار

ما يلاحَظ في أدب ساعدي، هو الخوف من الأحداث غير المتوقعة الذي يلعب الدور الهام في الرواية. أحد أجمل مشاهد الرواية التي يرسمها ساعدي هو مشهد القبيلة وهي محاصرة في واد مخيف يسمى الشيطان، حيث يصور الرعب السائد على القبيلة المحاصرة على أفضل وجه ممكن باستخدام مظاهر الطبيعة، وصف المخلوقات المجهولة، والجنون الزائد للأغنام وأيضاً هبوب الرياح الرهيب الذي يشبه عواء الذئاب. في الواقع، يستخدم الكاتب عنصر الخوف في جميع كتاباته تحت عناوين وأشكال مختلفة. مرة يصف فوهة المدفع الضخمة، ومرة أخرى يصف الجنرال والكلاب البرية بجانبه، مرة يصف جلد الجنرال للناس، ومرة أخرى يصور المخلوقات الخيالية أو الرياح البرية، أو في قلب الطبيعة الخالية من الماء والأعشاب. في هذا العمل، هناك تذكير مستمر بالموت سواء خوف الشخصيات من موتها أو موت الآخرين وحتى الحيوانات.

أخيراً يؤدي خوف ملا مير هاشم من الموت والهلاك، إلى موته وهلاكه، وهذه هي الضربة الأخيرة التي ترسخ القصة في ذهن القارئ. ملا مير هاشم ليس من أهل القبيلة ولا يحمل صفاتهم، لا هو بالشجاع الذي لا يهاب الموت ولا هو يالمقاتل الذي يكون حرّاً أبيّاً. لقد جمع ثروة كبيرة لسنوات، والآن يسوده الخوف من فقدان ثروته وحياته، فيفعل أشياء تبدو خاطئة أثناء حديثه عن الشخصية الإيجابية والروح القتالية لرجل دين آخر يدعى مشكيني، فهو يشير أيضاً إلى انتهازية ذلك الرجل الديني الذي نعى أهل بيت علي (ع) لسنوات ومحافظته على ثروته.

٤,٦. شرح تفاصيل حياة البدو والرحل

إن رواية "المدفعية"، شأنها شأن أعمال ساعدي الأخرى، موضوعها إقليمي ومعرفته بتفاصيل حياة البدو الرحّل وقبائل شاهسون تضفي إلى ثراء الرواية وغناها. ساعدي بارع في التعبير عن الخفايا ودقيق للغاية، والقارئ يشعر باستمرار أن "المدفعية" رواية قائمة على الواقع، وقد ابتكر ساعدي هذه الصور بناء على تواجده في قبيلة شاهسون ورؤيته لحقيقة مماثلة. يعبّر بشكل جيد ومعرفة تامة عن مسار القبيلة والأرياف والبراري والمصاعب والاختلافات وحتى السمات الجغرافية للمصايف حتى يتمكن القارئ من الحصول على معلومات أنثروبولوجية مهمة عن قبيلة شاهسون بعد قراءة الكتاب. يتحدّث بشكل جميل عن العلاقات بين الخوانين المحليين وأهالي القرية، ويكشف عن الاضطهاد المتبادل بين الناس؛ إنهم إما مضطهدون من قبل الحكومة الحاكمة أو الخوانين المحليين. انخدع الناس بسهولة بمظهر ملا هاشم وبساطته، فاعتبروه رجلاً مقدساً وخيراً في البداية، لكن في النهاية تتغير وجهات نظرهم عنه. الوصف الدقيق

للطبيعة، والتعبير عن التفاصيل مثل رائحة الزهور العطرة، وحركة المياه، والمخلوقات الصحراوية، والسهول والوديان، وما إلى ذلك، كلها تأخذنا إلى الفضاء الجغرافي وتضع القارئ في وضع مثالي. (سيمياري، ۱۳۸۹ش: ۸۹)

يكشف ساعدي بشكل جميل عن بساطة وتفاؤل أبناء هذه القبائل والبدو الذين يعيشون في هذه المنطقة واتباعهم المطلق للخوانين المهيمنين وتفاصيل حياتهم وأنواع معتقداتهم وأفكارهم، ويعطينا معلومات مفيدة.

٥،٦. مواجهة السعي للسلطة والنضال ضد القهر والاستعمار

موضوع ومحتوى رواية "المدفعية" هو المواجهة بين السعي للسلطة والنضال ضد الظلم والاستعمار. تتجلى روح الاستقلال والحرية المستمدة من حركات العصر الدستوري في هذا العمل. فترى الشعب الذي تعرض للقمع والنهب، يحاول الحفاظ على الوحدة والتضامن والمناهضة من أجل القضاء على القهر والاستعمار. الشخصية الرئيسة في هذه القصة، ملا هاشم، هو أيضاً طرف ضحية في هذه المواجهة ذات الاتجاهين. إن جهوده الشخصية لمساعدة الأهالي وإنقاذهم التي تهدف إلى حماية مصالحه الشخصية أكثر من نواياه الحسنة، باءت بالفشل. وفي النهاية لقد أثبت الأهالي أن لديهم روحاً أبيّة لا تقبل على الضيم ولا تسكت في وجه الظلم، فقد تعودوا على المقاومة ونشأوا على الصمود وتحمّل الصعاب.

٦،٦. مواجهة الجشع وأثره على الشخصية الرئيسة للرواية

يتمثل موضوع رواية "المدفعية" في المواجهة مع الجشع نوعاً ما، جشع ذلك الرجل العجوز (ملا مير هاشم) ومحاولته إبقاء أغنامه على قيد الحياة ما أدى في النهاية إلى موته. يحذر الكاتب من أنه لولا وجود المدفعية وأسلحة الحرب، أو إذا لم تحدث الفتنة بين الأهالي، لما عرف هؤلاء الرجال الصحراويون الهزيمة أو الخلاف، النزاع الذي يثيره عميل استعماري وينتهي بعامل خارجي وهو (ملا هاشم). «أشار "رحيم خان" إلى الأمام وركل هوار خان بقوة الكرسي من تحت قدمي ملا هاشم، وعلق ملا على أنبوب المدفعية، ويداه مفتوحتان من الجانبين ورجلاه النحيفتان واقفتان بشكل غريب على الأرض ورأسه منحن على الكتف الأيسر. أغمض ملا عينيه، سعل رحيم خان وأخرج العصا ببطء من الحلبة، ثم اشتعلت نيران المدفعية الكبيرة حيث ارتجفت وتحركت، وهز صوت رهيب التل كله إثر الانفجار.»

(ساعدي، ۱۳۵۱ش: ۱۸۹و ۱۹۰)

يسود الجشع في فضاء رواية "المدفعية" بشكل كبير وفي الحقيقة تستمر أحداث القصة بجانب هذا الموضوع، خاصة وأن هذه الميزة ظاهرة بوضوح في الشخصية الرئيسة للقصة (الملا مير هاشم) والقارئ يلاحظ هذا الجشع في الشخصية الرئيسة للقصة ما يجعل الجمهور أو القارئ لا يحزن ويتأثر بموته وهلاكه في نهاية القصة، ويحوّله الكاتب من بطل الرواية إلى مناهض للبطل في الرواية.

٧. جوانب النقد في رواية "المدفعية" الريفية

١,٧. تعقيد الشخصيات في القصة وخلق شخصية الخصم (الشخصية المعاكسة للشخصية الرئيسة)

«وفقاً للتعريف المتداول، فإن الشخصية المناهضة للبطل، هي الشخصيات التي تفوق خصائصها السلبية صفاتها الإيجابية. تعرف الشخصية الرئيسة أو البطل بالتفوق وهي تتمتع بخصائص إيجابية، والتسامح والإيمان بالحقيقة، والحب، والحرية، والعدالة، وما إلى ذلك. وكل هذا له وجه نسبي ومظهر في الحياة والواقع، كما يمكن للشخصية الرئيسة أن ترتكب أخطاء، لكنها لا تبقى في أخطائها ولا تصر عليها. يمكن أن تكون الشخصية الرئيسة إنساناً فاشلاً، ولكنها ليست إنساناً مُداناً. كما أن المأساة هي إحدى سمات حياة الشخصية الرئيسة، لكن الخصم أو الشخصية المناهضة للبطل يمكن أن ينتصر، لكنه مُدان لا محالة.» (شيري، ١٣٨٢ش: ١٤٩)

خلال القصة، ينوي ساعدي أن يحوّل مسؤولية معرفة الشخصيات المختلفة في قصته إلى القارئ ولا يتحمّل شخصياً ذلك لوحده، فيترك هذه المسؤولية المهمة للقارئ. إنه يجعل الشخصيات في قصته معقدة إلى حد ما، وبهذه الطريقة ينشغل فكر القارئ، مع الشخصيات الخيالية والوهمية في رواية (المدفعية) أكثر من ارتباطه بمحتوى وموضوع القصة. وأحياناً، بغض النظر عن النتيجة الإجمالية للقصة، فإن مصير الشخصيات الرئيسة في القصة، لها أهمية خاصة بالنسبة له، فهو أكثر فضولاً وتدخلاً في هذا الصدد؛ على سبيل المثال، في بعض أجزاء القصة، يبدو أن جميع الأحداث والشخصيات المتورطة فيها تقع في جانب واحد و "الملا مير هاشم" في الجانب الآخر منها.

إن مصير "الملا هاشم" مهمة جداً للقارئ بحيث إنه أحياناً ينسى موضوع القهر والإكراه والنهب والفقر والبؤس، وما إلى ذلك، وهي مواضيع رئيسة في هذه الرواية، ولهذا يكون دائماً في صراع وتضاد حول شخصية "الملا هاشم" هل هي إيجابية أم سلبية ؟! وفي الحقيقة هل نظرة المؤلف لهذه الشخصية نظرة إيجابية وبنّاءة أم نظرة متشائمة وهدامة ؟! ؟! إن الكاتب ساعدي محترف للغاية في ابتكار واستخدام هذه التقنية، بحيث يمكن رؤية وجود "الملا هاشم" في جميع أجزاء القصة، ولكن فجأة بطريق الخطأ وغير مقصود من جانبه (لمجرد الفضول حول موقع "المدفع" وإجباره على مرافقة قوات القوزاق ونتيجة لذلك الإجماع بين القبائل والأهالي حول قضية خيانته) تحوّل في نهاية المطاف من شخصية روحية بسيطة ودينية له شعبية، إلى شخصية جشعة وأنانية ومنفورة بين الناس. وفجأة، في مشهد أو مشهدين صغيرين للغاية، يكشف الكاتب عن شخصية روحية أخرى اسمها "الملا إمام وردي مشكيني" كشخصية شعبية متقية ومدافعة عن حقوق القرويين وحرياتهم، ومن هنا، استطاع الكاتب أن يزيل النظرة المتشائمة حول هذه الشخصية الدينية. ف يمكن القول إن الكاتب يصرح بشكل غير مباشر أن موضوع جشع "الملا هاشم" في ادخار الثروة ومحاولة الحفاظ على ممتلكاته لا يرتبط بتاتاً بكونه رجل دين وارتدائه هذا الرداء.

٢,٧. علاقة القارئ بالشخصية الرئيسة للقصة

تستند العلاقة التي تنشأ بين القارئ والشخصية الرئيسة للقصة أي بطل القصة إلى معرفة القارئ بالاهتمامات المشتركة والتعاطف مع بطل الرواية؛ لكن هذا لا يعني أن البطل عليه أن يكون إيجابياً يتمتّع بصفات حميدة وسمات جيدة أو متعاطفاً وليس بالضرورة أن يكون ودوداً ومحبوباً، لكن يجب أن يكون التواصل معه ممكناً من قبل القارئ. كما يشير ويجلر، إلى أن أفضل طريقة لجعل القارئ يرتبط بالبطل، هو إعطاء بطل الرواية أهدافاً أو رغبات أو احتياجات عامة. لأن القارئ/ المخاطب يرى نفسه مرتبطاً برغبات مثل الحاجة إلى أن يكون معروفاً ومحبوباً ومقبولاً. حتى لو كان البطل مخادعاً أو شريراً، فلا يزال بإمكاننا فهم مشاكله ووضع أنفسنا مكانه إذا كانت لدينا ظروف مشابهة له في الماضي أو رغبات تشبه رغباته، فهو أمر محتمل ومتوقع للآخرين أيضاً ولا نستثني أنفسنا من هذا الاحتمال.

في قصة "المدفعية"، قد يلعب البطل (الشخصية الرئيسة في القصة) أي الشخصية البارزة في القصة دور الخصم (منافس الشخصية الرئيسة) وليس هو الحافز للقصة، حتى لو لم يكن الشخصية الرئيسة في القصة. في هذه القصة، الشخصية الرئيسة (الملا مير هاشم) تثير باستمرار قضية الخوف من الموت والهلاك والقارئ يلاحظ ذلك بوضوح، لأن هذا التوتر والخوف يبدو من خلال حديث وأفعال هذه الشخصية وخوف ملا هاشم من الموت وتدمير ممتلكاته سيؤدي في النهاية إلى موته وتدمير ممتلكاته بالفعل.

٣,٧. دور وحضور النساء والأطفال الضعيف في رواية "المدفعية"

لا توجد امرأة ذات شخصية قوية في الدور الرئيس في جميع روايات ساعدي تقريباً. النساء في قصص ساعدي إما في دور البغايا والمسيئات، أو متسوّلات أو أمهات سلبيات، يتجاهلهنّ الروائي عادة، وهذا أحد الاختلافات الثقافية بين أعمال ساعدي وأعمال الكتّاب الآخرين. (طهماسبي، ١٣٨٩ش، ١٤)

في رواية "المدفعية" لا توجد امرأة كشخصية رئيسة فحسب، ولكن في الحقيقة لا نرى أي حضور للمرأة إلا في الأماكن التي نرى فيها جملاً مثل هذه؛ "عندما اطمأنوا، أخرجوا النساء والأطفال والأثاث من الملجأ". باستثناء هذه العبارة، لا يوجد في أي مكان في القصة أي ذكر للنساء أو الأطفال، وحتى النساء والأطفال لا يمثّلون أيّاً من الشخصيات الفرعية في القصة.

٤,٧. استخدام كلمات غير لائقة وسيئة في رواية "المدفعية"

قصة "المدفعية" رغم أنها تحمل جانباً عاميا تماما وتستخدم الكثير من الكلمات والعبارات العامية ويتم سردها تقريبا من أهل منطقة محددة ومحدودة، لكن ساعدي يستخدم كلمات غير لائقة وقبيحة ومثيرة للاشمئزاز أثناء القصة. ربما ينوي بهذه الطريقة أن يجعل الفضاء الخيالي لقصته حقيقياً تماماً وأن يتخيل القارئ قدر الإمكان أنه في مساحة حقيقية بكل تفاصيلها؛ مثلما يُتوقع أن يكون استخدام مثل هذه الكلمات أمراً طبيعياً بين أهل القرية، لذلك ينبغي توقع مثل هذه الكلمات والعبارات مثيرة للاشمئزاز في رواية هذا

النوع من القصص وسط المحادثات المستمرة بين الشخصيات المختلفة. فيما يلي بعض الأمثلة لاستخدام ساعدي لمثل هذه الكلمات القبيحة في قصة المدفعية":

-«قال الحاج: "سمعت أنه جاء لمساعدة رحيم خان، ليُهلكنا مثلاً ". قال الملا: "رحيم خان لم يقبل" قال الحاج: لا يقبل، فماذا يعني أن يكون تابعا للحكومة ؟! "هذا يعني أنه قبل كل شيء، أليس كذلك ؟" - قال الملا: "لا إنه لم يقبل، يقول إنه منذ متى كنتُ عديم الجدوى وعاجزاً حتى أكون أحد مسؤولاً عني" قال الحاج: "ولكنه سيقبل في النهاية ابن الكلب.» (ساعدي، ١٣٥١ش: ٣١)

-«نهض دولماتشوف وجاء يتفحّص الملا مثل الخروف وقال: "أنت نحيف جداً، إذن هؤلاء الدِّياث لا يطعمون شحاذيهم شيئاً حتى يسمنوا ؟!» (ساعدي، ١٣٥١ش: ٧٠)

-«قال هاوار خان: "ماذا تقول إذاً يا ابن الكلب ؟ الآن سأسلخك وأجعل أولادك يتامى.» (ساعدي، ١٣٥١ش: ٨٠)

-«سكت للحظات ثم تابع يقول: كل ما نعانيه سببه ذلك القط الملعون ملا هاشم. قال أحدهم من بين الظلام: ليس هو السبب كله. لماذا لا تذكر ابن الكلب رحيم خان قوجابيجلو؟ لماذا لا تذكر ابن الكلب هاوارخان أيضاً ؟ وذلك الـ... ينه رال قفقازي ؟.»

(ساعدي، ١٣٥١ش: ١٤٨)

-«قال رحيم خان: لا عليك بـ"شرابنلفي". وكذلك دولماتشوف وقزاقاشم، سنتخلّص من ذلك اللاسيد الكلب مير هاشم أكثر من غيره.» (ساعدي، ١٣٥١ش: ١٦٨)

-«جاء هاوارخان بخطاه العالية وقال بصوت مرتفع: يا ابن الكلب يلعن دينك، رأيت كيف حصلت عليك ؟ لا تستطيع أن تتملّص! (ساعدي، ١٣٥١ش: ١٨٠)

الاستنتاج

تتجه رواية "المدفعية" لغلام حسين ساعدي خلال الثورة الدستورية بامتثالها لأدب ما بعد الاستعمار، نحو قضايا مثل تأثير ظاهرة الاستعمار الذي طال أمده لفترة طويلة على هوية وجنسية واقتصاد ومعيشة الشعوب المستعمرة وطبيعة المقاومة ضد السلطة والهيمنة الاستعمارية، ومن خلال انتقاد مدرسة ما بعد الاستعمار وإنكار الأهداف التي تبدو مناسبة للاستعمار، فإنها تسعى إلى فضح نواياها الشريرة وإحياء المعتقدات القديمة والقيم المحلية.

كما أن النثر البليغ والتعبير البسيط الذي استخدمه الكاتب في سرد رواية "المدفعية" يساعد القارئ على التعمق في القصة بسهولة ودون صعوبة كبيرة ما يؤدي ذلك بدوره إلى فهم حقيقة الموضوع بشكل أفضل وأكثر دقة؛ لأن استخدام الكلمات والتعبيرات الصعبة وغير المألوفة قد يضر بانسجام القصة ورقتها ولا يستطيع القارئ فهم جوهر الموضوع ببساطة.

ومن أبرز سمات قصص ساعدي، استخدام موضوعات ومفاهيم تحتوي على الخوف والوهم بالحياة وما ينجم عن ذلك من صعوبات وشدائد؛ قصة "المدفعية" لا تخلو من هذه المواضيع الوهمية والمخيفة. وبحسب غلام حسين ساعدي، فإن الحرية وتحقيق الاستقلال والازدهار والاكتفاء الذاتي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال تثمين وتقويم مكانة الشعب والاهتمام بالأرض الوطن ومساعدة البلاد على التحرر من عبودية الاستعمار والنهب. قصة "المدفعية" كغيرها من أعمال وقصص ساعدي، على الرغم من خصائصها وسماتها الإيجابية، يمكن أن تخضع للنقد في بعض الجوانب؛ العنصر الأهم في القصة، هي الشخصية الرئيسة (الملا مير هاشم) له شخصية متزعزعة ومزدوجة تماماً، ويبدو أن أحداث هذه القصة تجري خلافاً لتوقعات القارئ. لأنه لا يتوقع أن تنتهي القصة بالموت المأساوي لـ "ملا مير هاشم" (الذي تم تفجيره بقذيفة مدفع) وتصويره على أنه خائن، كما يمكن انتقادها من جوانب أخرى أيضاً.

تقرير عن دراسة عناصر رواية "المدفعية" لغلام حسين ساعدي

(نسبياً)

٪٢٥ ٪٥٠ ٪٧٥ بالاى ٪٧٥

الأجزاء	ضعيف	متوسط	جيد	ممتاز
الأخذ بنظر الاعتبار روح النضال والمقاومة		*		
انتقاد الوضع الاجتماعي		*		
التناقض بين الواقعية والرمزية				*
الصراع بين التقليد والحداثة		*		
الخصم (المنافس للشخصية الرئيسة)				*
علاقة الجمهور بالشخصية الفعالة والنشط للقصة		*		
دور وحضور النساء والأطفال	*			
مواجهة الجشع				*
التعرف على الشخصية الرئيسة من قبل الجمهور	*			
البساطة في سرد الأحداث والتعبير عنها			*	
نمو الشخصية الرئيسة للقصة	*			

قائمة المصادر والمراجع

اشكرافت، بيل. (٢٠٠٦م). الردّ بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، *ترجمة شهرة العالم، ط١*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

اندرودي، الهام. (١٣٩٧هـ.ش). «جستاری در تعامل فرهنگ عامّه و معماری: بازتاب معماری بومی در فضاسازی ادبیات شفاهی آذربایجان» (دراسة في تفاعل الثقافة الشعبية والعمارة: انعكاس العمارة المحلية في إنشاء فضاء للأدب الشفوي الأذربيجاني)، ماه‌نامه فرهنگ و ادبیات عامه (مجلة الثقافة الشعبية والأدب)، السنة السادسة، العدد ٢٢.

پورقریب، بهزاد. (١٣٩٤هـ.ش). «ادوارد سعید و نظریه پسااستعماری و ادبیات مستعمره زدایی» (إدوارد سعيد ونظرية ما بعد الحداثة وأدب إزالة الاستعمار). مجلة مطالعات انتقادی ادبیات فصلنامه دانشگاه گلستان (فصلية دراسات الأدب النقدي، جامعة گلستان)، السنة الثانية، العدد ٦، صص ٩٦-٨٥.

تفرشی‌مطلق، لیلا. (١٣٩١هـ.ش). «مطالعات پسااستعماری در ادبیات مهاجرت» (دراسات ما بعد الاستعمار في أدب الهجرة). فصلنامه تخصصی علوم سیاسی (مجلة العلوم السياسية)، العدد ١٠، صص ٢٢٢-٢١٢.

حبیبی، محمّد حسن. (١٣٩٤هـ.ش). «بررسی سبکی طنز اجتماعی در آثار غلامحسین ساعدی» (دراسة لأسلوب الفكاهة الاجتماعية في أعمال غلام حسين ساعدي). جامعة العلّامه طباطبایی: همایش نظریه و نقد ادبی در ایران (مؤتمر النظرية الأدبية والنقد في إيران).

حیاتی، زهرا. (١٣٩٤هـ.ش). «تحلیل رابطه گفتمان اخلاقی متن با شیوه بیان در دو اثر غلامحسین ساعدی» (تحليل العلاقة بين الخطاب الأخلاقي للنص وطريقة التعبير في عملين لغلام حسين ساعدي). الفصلية العلمية المحكمة «پژوهش زبان و ادبیات فارسی» (بحوث اللغة الفارسية وآدابها)، العدد ٣٧.

ساعدی، غلامحسین. (١٣٥١هـ.ش). *توپ* (المدفعية). طهران: دار نيل للنشر.

ساعی، احمد. (١٣٨٥هـ.ش). «مقدمه‌ای بر نقد و نظریه پسااستعماری» (مقدمة لنقد نظرية ما بعد الاستعمار). فصلنامه سیاست دانشکده حقوق و علوم سیاسی دانشگاه تهران (مجلة السياسة الفصلية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة طهران): العدد ٧٣.

سلیمانی، محسن. (١٣٧٧هـ.ش). رمان چیست (ما هي الرواية؟). طهران: برگ للنشر.

سیمیاری، نسرین. (١٣٩١هـ.ش). «تحلیل گزیده‌ای از آثار غلامحسین ساعدی از منظر جامعه شناسی ادبی» (تحليل مقتطفات لأعمال غلام حسين ساعدي من منظور علم الاجتماع الأدبي). رساله ماجستير في الأدب الفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، فرع اسلامشهر.

شفاعی، آرش. (١٣٧٨هـ.ش). «روستایی‌نویسی در ادبیات داستانی ایران» (الكتابة الريفية في الروايات الإيرانية). طهران: صحيفة جام‌جم، العدد ٢٥١٥، ١٨ شهر إسفند.

شیری، قهرمان. (١٣٨٧هـ.ش). *مکتب‌های داستان‌نویسی* ایران (مدارس أسلوب سرد القصص في إيران). طهران: دار چشمه للنشر.

صادقی‌شهپر، رضا. (١٣٨٩هـ.ش). ویژگی‌های اقلیمی و روستایی در داستان‌نویسی خراسان جستارهای ادبی (الخصائص الإقليمية والريفية في المقالات الأدبية الخاصة بسرد القصص في خراسان). العدد ١٦٨.

طهماسبی، فرهاد و مریم‌السّادات سجودی. (١٣٨٩ ه.ش). «*نگاهی تطبیقی به داستان‌نویسی در داستایوفسکی و غلامحسین ساعدی*» (دراسة مقارنة لروايتي دوستويفسكي وغلام حسين ساعدي)، مجلّه مطالعات تطبيقى (مجلة الدراسات المقارنة)، العدد ١٤.

عرب بافرانی، علی‌رضا. (١٣٨٣ه.ش). «نقش گفتگو و لحن در آثار غلامحسین ساعدی» (دور الحوار والنبرة في أعمال غلام حسين ساعدي). رسالة لنيل درجة الماجستير في الأدب الفارسي، جامعة شهيد بهشتي طهران: «صص ٢٣-١».

عرفانی، علی اکبر. (١٣٨٩ه.ش). «بررسی عناصر داستانی در آثار غلامحسین ساعدی» (دراسة لعناصر القصة في أعمال غلام حسين ساعدي). رسالة لنيل درجة الماجستير في الأدب الفارسي، جامعة آزاد الإسلامية فرع دزفول.

قاسم زاده، محمد. (١٣٨٧ه.ش). «ساعدی راوی هول و خوف» (سعيدي راوي الرعب والخوف). مجلة پايا، العدد ٨ و ٩.

محمودی، فرزانه. (١٣٩٠ ه.ش). «بررسی عنصر شخصیت و چگونگی شخصیت‌پردازی در آثار داستانی غلامحسین ساعدی» (دراسة لعنصر الشخصية وكيفية خلقها في رواية غلام حسين ساعدي). همدان: جامعة بوعلی‌سینا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

مهدی پورعمرانی، روح الله. (١٣٨١ه.ش). نقد تحلیل و گزیده‌ای از داستان‌های غلامحسین ساعدی (نقد تحليلي ومقتطفات من قصص غلام حسين ساعدي.). طهران: دار روزگار للنشر.

میرعابدینی، حسن. (١٣٦٦ه.ش). *صد سال داستان‌نویسی در ایران* (مائة عام لكتابة القصص في إيران). ط ١، طهران: تندر للنشر.

الاستشهاد إلى: محمّدي خانقاه مسعود، آرمن سيد إبراهيم، فرزانة سيد بابك، رواية "المدفعية" الريفية لغلام حسين ساعدي مقارنة أدبية نقدية في ضوء "ما بعد الاستعمار"، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة عشرة، العدد الثالثة والخمسون، ربيع ١٤٤٣، الصفحات ٥٣-٣٣.